الحديث الثالث عشـــر

حدّثنا محمدُ بنُ سَلامٍ البيكَنْديّ قَالَ: أخبرَنَا عبْدَةُ عنْ هِشامٍ عَنْ أبيهِ عَنْ عَائشَـةَ قالت: كانَ رسُولُ الله ﷺ إذا أمَرهُمْ أمرَهُمْ مِنَ الأعْمَال بما يُطِيقُونَ قالوا: إنَّا لَسْنَا كَهَيئتِكَ يا رَسُول الله، إنَّ الله قَدْ غَفرَ لكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبكَ ومَا تَأخَّرَ. فَيَغْضَبُ حتى يُعْرف الغَضَبُ في وجْهِهِ ثم يقُولُ: إنَّ أتْقَاكُمْ وأعْلَمَكُم بالله أنَا».

وقوله: «إذا أمرهم أمرهم من الأعمال بما يُطيقون» في معظم الروايات تكرير أمرهم، والمعنى حينئذٍ كان إذا أمرهم بعمل من الأعمال أمرهم بما يطيقون الدوام عليه، فأمرهم الثانية جواب الشرط، وقالوا: جواب ثانٍ، وفي بعض الروايات أمرهم مرة واحدة، والمعنى كان إذا أمرهم بما يَسْهُلُ عليهم دون ما يَشُقُّ، خشية أن يعجزوا عن الدوام عليه، وعمل هو بنظير ما أمـرهم به من التخفيف، طلبـوا منـه التكليف بمـا يَشُقُّ لاعتقـادهم احتياجهم إلى المبـالغة في العمل لرفع الدرجات دونه، فيقولون: لسنا كهيئتك، فيغضب من جهة أن حصول الدرجات لا يوجب التقصير في العمل بل يوجب الازدياد شكراً للمنعم الوهاب، كما قال في الحديث: «أفَلا أكُونُ عبداً شكوراً» وإنما أمرهم بما يسهل عليهم ليداوموا عليه، كما قال في الحديث الآخر: «أحب العمل إلى الله أدومُهُ».

وقوله: «لسنا كهيئتك» الهَيئة - بفتح الهاء - الحالة والصورة، أي ليس حالنا كحالك، فَحُذِف الحال، وأقيم المضاف إليه مقامه، فاتصل الفعل بالضمير، فقيل: لسنا كهيئتك.

وقوله: «إن الله قد غَفَر لك ما تقَدَّم من ذنبك وما تأخر» أي: حال بينك

وبين الذنوب فلا تأتيها ، لأن الغفر الستر ، وهو إما بين الذنب والعبد ، وإما بين الذنب وعقوبته ، واللائق بالأنبياء الأول ، وبأممهم الثاني ، وقيل : المراد ترك الأولى والأفضل بالعدول إلى الفاضل ، وترك الأفضل كأنه ذنب لجلالة قدر الأنبياء ، وهذا من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين ، وقيل : المتقدم ما قبل النبوة ، والمتأخر العصمة ، وقيل : ما وقع عن سهو أو تأويل ، وقيل : المتقدم ذنب آدم ، والمتأخر ذنب أمته ، وقيل : المعنى أنه مغفور له غير مؤاخذ لو وقع منه .

وقوله : «ثم يقول إنَّ أتقاكم وأعلمكم بالله أنا» يقول بالرفع عطف على يغضب ، وأتقاكم اسم إن ، وتاليه عطف عليه ، وأنا خبره ، كأنهم قالوا : أنت مغفور لك لا تحتاج إلى عمل ، ومع ذلك تواظب على العمل ، فكيف بنا مع كثرة ذنوبنا؟ فرد عليهم بقوله : أنا أولى بالعمل لأني أتقاكم وأعلمكم بالله ، فجمع بين القوة العملية والقوة العلمية ، أشار بالأول إلى كماله عليه الصلاة والسلام في القوة العملية ، وبالثاني إلى القوة العلمية ، ووقع عند أبي نُعَيْم : «وأعلمكم بالله لأنا» بزيادة لام التأكيد ، وفي رواية الإسماعيلي : «والله إن أبركم وأتقاكم أنا» ويستفاد منه إقامة الضمير المنفصل مقام المتصل ، وهو ممنوع عند أكثر النحاة إلا لضرورة ، وأوَّلوا قول الشاعر :

وإنّما يُدَافِعُ عَنْ أحْسابهم أنا أوْ مِثْلي

بأن الاستثناء مقدر ، أي : وما يدافع عن أحسابهم إلا أنا .

قال بعض الشراح : والذي وقع في هذا الحديث يشهد للجواز بلا ضرورة ، فإن قيل : السياق يقتضي تفضيله على المخاطبين فيما ذكر ، وليس هو منهم قطعاً ، وشرط أفعل التفضيل إذا كان منويّاً في إضافته معنى من أن يكون جزءاً مما أُضيف إليه ، والأمر هنا ليس كذلك ، وأجيب بأنه إنما قصد التفضيل على من سواه مطلقاً لا على المضاف إليه وحده ، والإضافة لمجرد التوضيح ، فما ذكر من الشرط هنا لاغ ، إذ يجوز في هذا

المعنى أن تضيفه إلى جماعة هو أحدهم نحو: نبينا عليه الصلاة والسلام أفضل قريش ، وأن تضيفه إلى جماعة من جنسه ليس داخلاً فيهم ، نحو يوسف أحسن إخوته ، وأن تضيفه إلى غير جماعة نحو فلان أعلم بغداد ، أي : أعلم ممن سواه ، وهو مختص ببغداد ، لأنها مسكنه و منشؤه .

وفي هذا الحديث فوائد :

الأولى : أن الأعمال الصالحة تُرقّي صاحبها إلى المراتب السنية ، من رفع الدرجات ، ومحو الخطيئات ، لأنه ﷺ لم ينكر عليهم استدلالهم ولا تعليلهم من هذه الجهة ، بل من جهة أخرى .

الثانية : أن العبد إذا بَلَغَ الغاية في العبادة وثمراتها ، كان ذلك أدعى له إلى المواظبة عليها استبقاء للنعمة واستزادةً لها بالشكر عليها .

الثالثة : الوقوف عند ماحدّ الشارع من عزيمةٍ ورخصةٍ ، واعتقاد أن الأخذِ بالأرفق الموافق للشرع أولى من الأشق المخالف له .

الرابعة : أن الأولى من العبادة القصد والملازمة لا المبالغة المُفْضية الى الترك ، كما جاء في الحديث الآخر : «المُنْبَتُّ - أي المجد في السير - لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى» .

الخامسة : التنبيه على شدة رغبة الصحابة في العبادة ، وطلبهم الازدياد من الخير .

السادسة : مشروعية الغضب عن مخالفة الأمر الشرعي والإنكار على الحاذق المتأهل لفهم المعنى إذا قصر في الفهم تحريضاً له على التيقظ .

السابعة : جواز تحدث المرء بما فيه من فضل بحسب الحاجة لذلك عند الأمن من المباهاة والتعاظم .

الثامنة : بيان أن لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زتبة الكمال الإنساني ، لأنه منحصر في الحكمتين العلمية والعملية ، وقد أشار إلى

الأولى بقوله: «أعلمكم» وإلى الثانية بقوله «أتقاكم».

رجاله خمسة:

الأول: محمد بن سَلَام بن الفَرَج السُّلَمي مولاهم البُخاري أبو عبدالله البِيكَنْدِيّ الكبير، محدث ما وراء النهر.

قال يحيى بن يحيى: بخراسان كنزان، كنز عند محمد بن سَلَام، وكنز عند إسحاق بن راهوية. وقال سهل بن المتوكل: سمعت محمد بن سَلام يقول: أنفقت في طلب العلم أربعين ألفاً، ومثلها في نشره، وانكسر قلمه يوماً في مجلس شيخه، فأمر أن يُنادى قلم بدينار، فتطايرت إليه الأقلام. وقال سهل بن المتوكل كان محمد بن سَلام من كبار المحدثين، وكان بينه وبين أبي حَفْص أحمد بن حفص مودة مع المخالفة في المذهب. وذكره ابن حبّان في «الثقات». وقال علي بن الحسن: جاء شيخ إلى ابن سلام، فقال: يا أبا عبدالله، أنا رسول ملك الجنِّ إليك، يقرأ عليك السلام، ويقول لك: لا يكون لك مجلس يجتمع إليك الناس وإن كَثُرُوا، إلا يكون منا في مجلسك أكثر من مثلهم. قال محمد بن يعقوب: هذه الحكاية عندنا مستفيضة. وعن سهل بن المتوكل قال: قلت لأحمد بن حنبل: حدثني، فقال: من أين أنت؟ قلت: من بخارى، فقال: ألم تسمع من محمد بن سَلَام ما يكفيك؟ وعن علي بن الحسن قال: سمعت محمد بن سلام يقول: أدركت مالك بن أنس، فإذا الناس يقرؤون عليه، فلذلك لم أسمع منه شيئاً، وكان أحمد يعظمه. وروى عنه عُبيد بن شُرَيْح أنه قال: أحفظ نحو خمس آلاف حديث، وله حديث كثير ورحلة ومصنفات في كل أبواب العلم. وقال أبو حاتم: ثقة صدوق. وقال ابن ماكولا: كان ثقة.

روى عن: أبي إسحاق الفَزارِيّ، ومالك، وعبدالله بن إدريس وهُشَيم، ومروان بن معاوية، وابن المبارك، وعبدالأعلى بن عبدالأعلى، وإسماعيل بن عُليّة، وأخيه ربعيّ بن عُليّة، ومُعْتَمِر بن

سُليمان ، ووكيع ، وغيرهم .

وروى عنه : البخاريُّ ، وابنه إبراهيم بن محمد بن سَلام ، ومحمد بن نَهْشَل المؤدب ، وعبدالله بن عبدالرحمن الدّارِميّ ، ومحمد بن علي بن حَمْزة ، وغيرهم .

ولد محمد بن سَلَام في السنة التي مات فيها الثَّوْريّ ، ومات في صفر سنة سبع وعشرين ومئتين وله خمس وستون سنة .

وانفرد البخاري به عن الستة .

وفي غير الستة محمد بن سَلَام بن السَّكن البيكَنْدِيّ الصغير ، روى عن أبي العلاء الحَسَن بن سَوّار ، وعلي بن الجَعْد . وروى عنه عُبيدالله ابن واصِل البِيكَنْديّ ، مات بمصر .

وفي غير الستة أيضا محمد بن سلام شيخ ، روى عن إبراهيم بن بشار الرَّمادِيّ ، وروى عنه أبو العبّاس السّرّاج في «تاريخه» وقال صدوق .

واعلم أن سلاماً والد محمد بن سلام المذكور بالتخفيف على الصواب ، وبه قطع المحققون ، وذكره غُنْجار في «تاريخ بُخارى» وهو أعلم ببلده ، وروى عنه سَهْل بن المتوكل أنه قال : أنا محمد بن سَلام بالتخفيف وليس بالتشديد ، وذكر بعض الحفاظ أن تشديده لَحْن ، وأما قول صاحب «المطالع» :أن التشديد رواية الأكثر ، فلعله أراد أكثر شيوخ بلده ، قال النووي : لا يُوافق على هذه الدّعوى ، فإنها مخالفة للمشهور ، وأشار العراقي إلى جميع المخفف اللام من سلام بقوله :

نحو سلام كله فَثَقِّلِ ... لا ابن سلام الحبر والمعتزلي
أبا علي فهو خِفُّ الجد ... وهو الأصح في أبي البيكَنْدِيّ
وابن أبي الحقيق وابن مِشْكم ... والأشهر التشديد فيه فاعلم
وابن محمد بن ناهض فخِفّ ... أو زده هاء فكذا فيه اختُلِفْ
قلت وللحبر ابن أخت خفف ... كذاك جد السيدي والنسفي

واعترض ابن حَجَر تشهير العراقي التشديد في سَلام بن مشْكم - بتثليث الميم وفتح الكاف - بأن الوارد في الشعر الذي هو ديوان العرب تخفيضه ، وكونه للضرورة خلاف الأصل ، لا سيما مع تكرره ، والمراد بالمعتزلي أبو علي الجُبّائيّ الذي هو محمد بن عبدالوهاب بن سلام ، والمراد بالسيد سعد بن جعفر بن سلام ، والمراد بالنَّسفِيّ أبو نصر محمد ابن يعقوب بن إسحاق بن محمد بن موسى بن سلام .

والسُّلَميّ في نسبه بضم السين ، وفتح اللام نسبة إلى سُلَيم كزبير ، وهو أبو قبيلة من قَيْس عَيلان ، سُليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة ، والثاني في الأزد سُليم بن بهم بن غنم بن دَوْس ، ومر في الحديث الرابع من بدء الوحي الكلام على السَّلَميّ بفتح السين وضمها .

والبِيكَنْديّ في نسبه - بكسر الباء الموحدة ثم ياء آخر الحروف ساكنة ثم كاف مفتوحة ثم نون ساكنة - نسبة إلى بيكَنْد بلدة من بلاد بُخارى ، على مرحلة منها ، خربت ، ويقال: الباكِنْديّ أيضا ، ويقال: الفاكِنديّ ينسب إليها ثلاثة أنفس ، انفرد بهم البخاري ، أحدهم: محمد بن سلام هذا ، والثاني: محمد بن يُوسف ، والثالث: يحيى بن جَعفر الكِلَابي منسوب إلى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة بن قَيس عَيْلان .

الثاني: عَبدة - بسكون الباء -ابن سُليمان بن حاجِب بن زُرارة بن عبدالرحمن بن صُرَد بن سمير بن مليل بن عبدالله بن أبي بكر بن كلاب أبو محمد الكِلابِيّ الكُوفي ، وقيل: اسمه عبدالرحمن ، وعَبدة لقبه ، أدرك صُرَد الإسلام وأسلم .

قال العِجليّ: ثقة ، رجل صالح ، صاحب قرآن .

وقال أحمد: ثقة ثقة وزيادة ، مع صلاح في بدنه ، وكان شديد الفقر. وقال عثمان الدّارميّ: قلت لابن مَعين: أبو أسامة أحب إليك أو عَبْدة بن سُليمان؟ قال: ما منهما إلا ثقة . وقال ابن سَعد: كان ثقة ، وذكره ابن حِبّان في «الثقات» ، وقال: مستقيم الحديث جدّاً . وقال ابن أبي حاتم: سُئل

أبي وأبو زُرْعَة عن عَبْدة ويونس بن بُكَيْر وسلمة بن الفَضْل: أيُّهم أحب إليك في ابن إسحاق؟ قالا: عَبْدة بن سُليمان. وقال عُثمان بن أبي شَيْبة: ثقةٌ مسلمٌ صدوق. وقال الدَّارَقُطني: ثقة.

روى عن إسماعيل بن أبي خالد، ويحيى بن سعيد الأَنْصارِيّ، وعاصم الأَحْول، وهشام بن عُروة، والأَعْمش، والثَّوْريّ، وأبي إسحاق، وطلحة بن يحيى بن طلحة، وسعيد بن أبي عَروبة، وغيرهم.

وروى عنه: أحمد، وإسحاق، وابنا أبي شَيْبَة، وإبراهيم بن موسى الرّازيّ، ومحمد بن سَلام البيْكَنْديّ، وأبو كُرَيْب محمد بن العَلاء، وأبو سعيد الأَشَجّ، وهنّاد بن السَّرِيّ، وغيرهم.

مات بالكوفة في رجب، وقيل: في جُمادى الثانية سنة ثمان وثمانين ومئة، وقيل: سنة سبع.

وفي الستة عَبْدة بن سُليمان المَرْوَزِيّ أبو محمد صاحب ابن المُبارك المصّيصِيّ مات سنة تسع وثلاثين ومئتين.

وفي غير الستة: عَبدة بن سليمان بن بكر البصْريّ أبو سهل، مات بمصر سنة ثلاث وسبعين ومئتين، وأما عبدة فنحو سبعة.

والكِلابِي في نسبه نسبة إلى كِلاب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصعة من قَيْس عيلان، وفيه المثل: ثَوْرُ كلابٍ في الرِّهان أقْعَد، وفي قُريش كلاب ابن مُرة.

والثالث: هِشام بن عُروة.

والرابع: أبو عُروة.

والخامس: أم المؤمنين عائشة، وقد مروا في الثاني من بدء الوحي.

لطائف إسناده: منها أن فيه التحديث والإخبار والعنعنة، والإخبار في

قوله: أخبرنا سليمان ، وفي رواية الأصيلي: حدثنا ، وسنده مشتمل على بُخَاريّ ، ومَدَني ، وكوفي ، ورواته أئمّة أجلّاء.

وهـذا الحـديث من أفـراد البُخـارِيّ عن مسلم ، وهـو من غرائب الصحيح ، لم يُعـرف إلا من هٰذا الـوجه ، وهو مشهورٌ عن هشام ، فرد مطلق من حديثه عن أبيه ، عن عائشة.

باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُلقى في النار من الإيمان

سقط لفظ باب عنـد الأصيليّ ، ويجـوز فيه التنـوين والإضافة إلى تاليه ، وعلى كل حال فمَن مبتدأ ، ومن الإيمان خبره ، وأن في الموضعين مصدرية ، وكذا ما ومَن موصولة.

وجرى المصنف على عادته في التبويب على ما يُستفاد من المَتْن مع مُغايرة الإسناد هُنا إلى أنس ، وبمغايرة السند وألفاظ من المتن سأبينها ، يعلم أنه لا تكرير في سياقه له هنا.